مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: الجوانية من سؤال التقليد إلى محاولة الإبداع... ص.ص 419- 433.

الجوانية من سؤال التقليد إلى محاولة الإبداع "عثمان أمين"أنموذجا (دراسة تحليلية نقدية).

وفاء برتيمة
جامعةالحاج لخضر باتنة-1-
philowafa25@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/06/09؛ تاريخ القبول:2020/08/05

From the question of tradition to the attempt of creativity "Othman Amin" is a model(critical analytical study).

Abstract:

The intellectual and philosophical currents in the Arab world have known waves of criticism that ask in their originality about the client of transport for the other and imitating him without uniqueness and creativity, which calls into question their intellectual abilities and decreases the status of their cognitive and scientific imagination produced, among the philosophies of the goon philosophy, in which " Othman Amin " tried.

Defending its uniqueness by adapting the ideal ground and mental intuition in order to promote the universal moral human dimension, by returning to the inner-inner dimension of man, i.e. religion, as he re-read "Kant" as a former philosopher with secure and valuable existential dimensions, and discovered Through his spiritual philosophy that presents the essence on the presentation in the nail of what things are and presents the principle of what must be what is being, with the aim of lifting morality from the changing sensory experience to the world of metaphysics and achieving a functional integration between what is being and what must be, this justifies the moral dimensions in his project of the atmosphere, which legitimizes all that is good and transcendent and presents the moral idea and its religious origins as the basis for every subjective reform or change and construction of the subject.

Keywords: Spirit; Intuition; Morality; Idealism; Religion .

الملخص:

عرفت التيارات الفكرية والفلسفية في عالمنا العربي موجات نقد تسأل في أصالتها عن عميلة النقل عن الأخر وتقليده دون التفرد والإبداع، ومن بين الفلسفات الفلسفة الجوانية؛التي حاول فيها "عثمان أمين"الدفاع عن تفرده بتكييف الأرضية المثالية والبداهة العقلية من أجل النهوض بالبعد الإنساني الأخلاقي الكوني، وذلك بالعودة إلى البعد الجواني-الباطن- في الإنسان أي الدين،كما أعاد قراءة "كانط" باعتباره فيلسوفا سابق عليه وذو أبعاد وجودية مؤمنة و قيمية، واكتشف من خلاله فلسفته الجوانية التي تقدم الجوهر على العرض في الظفر بماهية الأشياء وتقدم مبدأ ما يجب أن يكون على ما هو كائن، بهدف رفع الأخلاق من التجربة الحسية المتغيرة إلى عالم الميتافيزيقا وتحقيق تكامل وظيفي بين ما هو كائن وما يجب أن يكون،وهذا ما يبرر الأبعاد الأخلاقية في مشروعه الجواني الذي يشرعن لكل ما هو خير ومتعالي وتقديم الفكرة الأخلاقية وأصولها الدينية أساسا لكل إصلاح ذاتي أو تغيير وبناء موضوعي.

الكلمات المفتاحية: الروح؛ الحدس؛ الأخلاق؛ المثالية؛ الدين.

مقدمة:

الحديث عن الإبداع الفلسفي في زيه العربي المعاصر هو ضرب من المجازفة ضد المصداقية، لأن محاولة إثبات وجود إبداع فلسفي عربي في راهننا الآني فيه نوع من الغلو يجعلنا نقع في أحضان العقل الغربي لا شعوريا باعتباره المرجعية التأسيسية لكل الأطروحات والمناهج التي تعج بها الساحة الفكرية العربية كمسائل الحداثة وما بعد الحداثة أو ما يعرف بعصر السيولة والصلابة، فالإقرار بوجود إبداع فلسفي بيئي عربي هو سبر في وظائف الفلسفة المعقدة والمركبة بلغة "إدغار موران"(Edgar Morin) و"عبد الوهاب المسيري" باعتبار الفلسفة حاجة إنسانية ودافع ديناميكي لصعود أو سقوط حضارة من عصر الوعي المنتج والمحتقن في إشكالاته الشائكة وهذا يتوقف على مدى ذيوع فعل التفلسف فيها، فإذا كانت الفلسفة تعنى بتفسير الواقع وتحليله ونقده وتركيبه معتمدة على فعل التفلسف الذي يمد الفلسفة

بعمر البقاء والتقدم نحو فعالية التساؤل في هموم العصر ومحاولة تشخيصها وتسطير إمكانات علاجها من أجل التغيير والتجديد وفقا لقناعة المتفلسف وبحجة أن الفلسفة هي قيادة فكرية للواقع تسعى إلى فهم الوجود لا امتلاكه فهي ترغمك على الجرأة الكانطية في استخدام عقلك بشجاعة، تلك الشجاعة أنزلت الفلسفة من عليائها لليومي المعاش الغربي والعربي على كفة المساواة.

مما جعل الكثير من المفكرين العرب ينكبون على نقد الذات ونقد امتدادات الوعي المادي الذي غيب القيم وطمس ماهية الروح بالتغول التكنولوجي والاستهلاك البراغماتي مع تراجع الإقبال على الفلسفة لصالح العلم بسبب عقلية الأموات التي تحكم الأحياء في الشرق على تعبير "سلامة موسى" فكان من بين الذين أسهموا في تغيير الواقع العربي ومحاولة انتشاله من براثين التخلف والاجتهاد في يقظته نجد واحدا من رعيل النهضة والإصلاح المتجلي في شخص المفكر المصري "عثمان أمين" الذي قدم رؤيته الجوانية كمخرج لأزمة الأخلاق التي طوقت العالمين الغربي والعربي وانعكست بالسلب على سائر مجالات الحياة الأخرى وجعلت الإنسان امتدادا لعالم الطبيعة والأشياء بمعزل عن مكانته الإنسانية، هذا ما يبلور عقدة الإثارة العقلية كالآتي: ما هو التصور الفلسفي الذي قدمه "عثمان أمين" لخدمة معضلات العالم العربي وهل يمكن الحكم عليه بالتفرد والإبداع أم يتعذر علينا ذلك ولماذا؟.

أولا:"عثمان أمين" ومخاض التجربة الجوانية:

لعله من الصعب عزل الفيلسوف عن عالمه الذي يعيش فيه وهذا ما تبدو ملامحه قائمة في خطابات المفكر والمتفلسف العربي "عثمان أمين" مؤسس الفلسفة الجوانية، ولعل لفظ جواني قريب من النطق العامي المصري: «جوا أي داخلي وباطني(زيادة معين، دس: 471)، وإن كان له ما يقابله في الحقل اللغوي جواني بمعنى داخلي عكس براني خارجي على سبيل المثال المنطق له معنيين جواني باطني بمعنى الفكر وبراني ظاهري بمعنى النطق أو الكلام، فهي ترتكز على مقوم داخلي وهو الروح وقوة الضمير نحو تحصيل القيم العليا ففي مقدمة كتابه(الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة)يفسر لنا دلالة

الجوانية ودوافعه: «الجوانية اسم أطلقته منذ سنين على فلسفة اهتديت إليها بعد إطالة النظر في أمور النفس، ومتابعة التأمل في بطون الكتب مع مداومة التعرض لتجربة الوقائع والمعاناة لشؤون الناس» (أمين عثمان، 1963: 9)، فهي إذا فلسفة موجهة لاستقراء باطن الذات والموضوع بعزلها عن مظهرها الخارجي مما يجعلها مجهر فحص داخلي عميق يستهدف الكشف عن العلل وتشخيص العلاج والذي ينطبق ويتماشى مع طبيعة الدراسة المتبعة ومنهجها ألا وهو التأمل العميق في الذات الإنسانية وجوهرها والتأويل الثنائي الذي يزاوج بين العقل والعمل للوصول إلى عالم المتحققات فهي كما جاء في الموسوعة العربية: «تهتم بما هو ماهوي وأخلاقي ومثالي إنها عمارة تتأسس على مصطلحات كبرى هي الروح ترد أكثر من 40 في كتاب الجوانية القاهرة 1964 القلب يرد حوالي عشرة مرات، الدين (33 مرة) الجوهر أكثر من (20مرة) الأخلاق (60مرة تقريبا) الجواني (90 مرة)» (أمين عثمان، 1963: 10).

ما يؤكد أنها فلسفة إتيقية قيمية كيفية لا كمية مهمتها الغوص في أغوار الذات ومكنونات الوقائع بعيدا عن امتداداتها المادية والوضعية التي تمثل الشق البراني والتي تلغي القيمة الحقة التي وجد لأجلها الإنسان، فالبعد المعياري الذي يحث عليه "عثمان أمين" في جوانيته يكشف لنا عن مستوى تدينه ومدى أصالته المحافظة فهو أراد من فلسفته الجوانية الاحتكام للحكم الأخلاقي المتمثل في ما يجب أن يكون لتعديل ما هو كائن وخارج عن المألوف في العادات الاجتماعية وعلى المبادئ الدينية وباعتباره واحدا من بين الرعيل الذي مثل الفكر الإصلاحي فهو يناشد ضرورة تفعيل مبدأ الإرادة الخيرة كقانون عام يحكم الجميع للتحرر من النوازع الأنانية والأهداف البراغماتية التي طمست جوهر الروح الخالصة في مثالتيها للإنسان.

عمل "عثمان أمين" على تكثيف الدعوة إلى إعادة النهوض بالقيم الأخلاقية تمثلت في ثورة ضد شوائب التحديث والغزو الثقافي والاغتراب الذاتي وذلك بالعودة إلى مركزية الفعل الأخلاقي التي تتمحور حول سلامة الروح وصحوة الضمير وشمولية المكاسب الإنسانية لأن الأخلاق دين الإنسانية خاصة إذا كان مصدرها

المرجعية المقدسة وحدس باطني يقوم على سلامة الضمير ويؤسس لعلاقات وأهداف تراعي المصلحة الخاصة والعامة معا بحيث لا ضرر ولا ضرار.

ثانيا: ماهية الجوانية في رؤية "عثمان أمين": يرى "عثمان أمين" أنها: "فلسفة ثورة لأنها نابعة من أعماق هذه الأمة الثائرة ولأنها محاولة أيديولوجية لتحقيق أمرين لا بدّ منهما في مرحلة تطورنا التاريخي، الأول عودة إلى ماضينا ومراجعة له والثاني اتجاه إلى مستقبلنا وإعداد له، وهي فلسفة ثورة أيضا لأنها تنشد المثل الأعلى في عليائه بلا تراخي في السعي إليه ولأنها تؤمن أن القوة المحركة للتاريخ هي قوة المبادئ وإرادة التغيير والطموح إلى تقويم الأشياء من جديد" (أمين عثمان، 1963: 7)، هذا ما يؤكد أن الفلسفة الجوانية تعتمد على تجربة ذاتية نازلة منفتحة الجوانب ومتعددة القيم فهي ضد الانغلاق والركنية أو السكونية ، بل تحث على صيرورة التغيير من أجل تحقيق ما يجب أن يكون كفضائل على مستوى حياة الفرد والجماعة، فكانت الفلسفة الجوانية تقويضا لكل ما هو قائم خارج حدود التجربة الداخلية وكل التيارات القطعية الآلية المغلقة، حيث توازن الجوانية بين بلاغة الوعي أو النظر وحكمة العمل أو التطبيق من أجل ضمان التغيير والاستمرار وقاعدتها في ذلك العودة إلى روح الوحي أي النص الديني أو ما يعرف بالقرآن الكريم تأملا في الموضوع واستلهاما من لغته العربية التي تخاطب العقل الباطن وتتفرد بخصوصيتها حسب فهمنا لما جادت به مؤلفات' 'عثمان أمين" فهي شق من الخصوصية المبدعة بالفطرة، مما يفهم أن الجوانية موجهة إلى توجيه السلوك الإنساني في نطاقه العام وتقويم الروح أو الذات فهو يرى أنها: «تفلسف مفتوح على الروح والدنيا متعرض لنفحات السماء في كل لحظة وطريق مبسوط أمام الوعي ينتظر (السالكين) إلى يوم الدين» (أمين عثمان، 1963: 11)؛ هذا ما يعكس المناخ الاجتماعي والثقافي المعاش في تلك الفترة التي برع فيها "عثمان أمين" حيت عرف المجتمع المصري بالمحافظة والأخلاق والاحتكام إلى أمور الدين وهذا ما جسده "عثمان أمين" من خلال تجاربه الشخصية فهو على قدر من الوعي بمسائل الدين أو النص

الديني ومنظومته المعيارية التي تثمن المبادئ العليا التي وجد لأجلها الإنسان في علاقته مع ذاته ومع غيره لصيانة الإطار العام للحياة وجوهرها الخاص.

أشاد "عثمان أمين" بأهمية الدور الذي تلعبه الفلسفة وضرورتها في بعث الوعي وأمان ديمومته الحضارية التي تضمن لها التطور والتميز وهذا ما جاء في مقال نشره عام (1960) عنون ب: (مجتمعنا في حاجة إلى الفلسفة): « لقد كان أفلاطون شيخ الفلسفة القديمة يقول إن الفلسفة يجب أن تكون حارسة للمدينة وكان ديكارت شيخ الفلسفة الحديثة يقول إن الفلسفة هي وحدها التي تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، وأن حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس بمقدار شيوع التفلسف فيها، ولذلك فإن أجمل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد هي أن يمنحها فلاسفة حقيقيين» (العراقي عاطف، 1998: 361)، هذا ما دافع عنه في فلسفته الجوانية التي تأسست على قواعد أخلاقية تبدأ من وعي الروح وقيم الدين عامة، لأنه يسلم بأن الأخلاق وحدها كفيلة بتحقيق النظام والسعادة على المستوى الخاص والعام الكوني "فعثمان أمين" يعلق عن تجربته الجوانية قائلا:«وإذا لم يكن في استطاعتي الآن أن أحدد -على التدقيق- بوادر الجوانية في حياتي العقلية فقد أحسست نشوء نوازعها في صباي وقوة انطباعها في شبابي واكتمال وعيها في كهولتي» (العراقي عاطف، 1998: 362).

ويرى' 'عثمان أمين" أن الفلسفة لا تستطيع أن تجاوز نطاق الوعي الإنساني، الذي هو نوع من الكشف الباطن أو الوعي الداخلي، وهذا الوعي على أنحا: "فيكون وعيا عقليا أو دينيا أو أخلاقيا ولذلك وجدنا الفلاسفة الأصليين متفقين على الحقائق الثلاث الكبرى: روحانية النفس، ووجود الله، وقانون الأخلاق، ومن المقرر أن الوعي الإنساني يحتوى على مستويات كثيرة من الوجود، وفيه مراتب عديدة من الكمال، لكن التجريبيين والوضعيين لم يروا فيه إلا المراتب الدنيا، مراتب الأحاسيس في حين أن العقليين والمثاليين إنما رأوا المراتب العليا، مراتب الأفكار والمثل" (وهبة مراد، 1994: 67. 66)

هكذا يمكننا ملء شاشة التقابل الثنائي الحدسي والحسي الأمر الذي يسمح لنا في النهاية بمفاضلة رأي عبقري ألمانيا الذي كان سوطا

قوي الوقع في شخصية بحثنا الراهن "عثمان أمين" وهو أن: «الأشياء تدور حول العقل لكي تصير موضوع إدراك وعلم، ولا يدور هو حولها كما كان المعتقد من قبل (وهبة مراد، 1994: 67)، كان هذا المبدأ سببا كافيا لإحداث ثورة على المألوف المتداول لاسيما على مستوى العلاقات الإنسانية وحقل القيم الأخلاقية الذي أبدع فيه "كانط"(kant) بمشروع الأخلاق الكونية وفكرة السلام العالمي والحريات الإنسانية وغيرها انطلاقا من فكرة الواجب الأخلاقي والعقل الخالص والمعاني المطلقة التي نجد لها الأثر في الطرح الجواني العربي المتمثل في أفكار "عثمان أمين" خاصة في الشعار الكانطي": «اعمل فقط حسب الحكم الذي تستطيع أن تريده في نفس الوقت قانونا كليا» (أمين عثمان، 1963: 68).

هذا ما يقابله عند "عثمان أمين" أن الجوانية: «فلسفة تستدعي تزكية الوعي الإنساني وممارسة الحرية النفسية وتسعى إلى تعميق فهمنا للمعاني والمقاصد والقيم، وهي بهذا الاعتبار تمارس الوظيفة الفلسفية على الأصالة: التماس اللب والمبدأ والكيف والحق» (أمين عثمان، 1963: 11).

فهي فلسفة أخلاقية تستمد شرعيتها من الدين الإسلامي الذي يؤسس لعلم الأخلاق هذا الأخير الذي يعرف بأنه: «علم الواجب، لأنه يهدينا إلى ما يجب علينا عمله دائما، ويشتغل دائما بوضع زمام الحياة البشرية في يدي الواجب»(غلاب محمد د. س: 3)، الجوانية عند "عثمان أمين" إذا هي فلسفة الروح والضمير والسمو والحرية والمسؤولية والوسطية والاعتدال.

أسس ومبادئ الفلسفة الجوانية وخصائصها عند "عثمان أمين":

قدم "عثمان أمين" مشروعه الجوانية باعتبارها فلسفة الرحابة والانفتاح والحيوية، يؤكد "عثمان أمين" في قوله: «إن الجوانية من حيث هي في صميمها فلسفة وعي، قد اتخذت لنفسها الشعار الإسلامي العملي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . .

وجعلته مبدأ من مبادئ الوعي الإنساني»(تواتي المكي 1996: 128)؛ هذا ما يؤكد لنا أن الجوانية فلسفة في الحياة تجمع بين ما هو عقلي وحدسي من أجل أخلاق مكتملة تعكس الصورة الفعلية التي وجد

لأجلها الإنسان "فعثمان أمين" يسعى لبعث القيم المثالية كونيا ومصدره في ذلك القرآن والسنة ناهيك عن دور الحدس الباطني المنتج والكشفي يقول: «وقد نبتت هذه الفلسفة عندي من تأمل روح الدين والله عامة ومن تأمل آيات القرآن وأحاديث الرسول خاصة»(طلبة إبراهيم، د. س: 13).

هذا يعكس ما تربى عليه من علوم الدين كما أنه تأثر بالإرث الحضاري لبلده مصر في ممارستها الأخلاقية والإنسانية شعبا وسيادة قائلا: «والعارفون يعلمون أن البيئة المصرية منذ أقدم تاريخ لها وتاريخها هو فجر الضمير الإنساني – كما أوضح الباحثون الثقات– قد تميزت بخصائص بارزة هي سلطان الدين والأخلاق عليها»(أمين عثمان، 1963: 11).

لا حياد في القول بأن "عثمان أمين" رسم معالم جوانيته من أخلاق قريته (مزغونة) (أمين عثمان، 1963: 11)، متأثرا بمن سبقه في التسليم بمبدأ الحدس الباطني والضرورة الأخلاقية وبمعاصريه من المفكرين والفلاسفة على سبيل التمثيل لا الجحود نجد في مقدمتهم: "أبو حامد الغزالي" في صوفيته الأخلاقية، و"عباس محمود العقاد" في جمعه بين الفكرة والسلوك، و"كانط" و"ديكارت"(Descartes) وغيرهم وهذا باعتراف صريح منه فيما ورد في مصادره حيث يقر بمدى تأثره بهم فكرة ومنهجا وغاية سامية.

يركز "عثمان أمين" على ضرورة الوعي وهو الفهم والإدراك، لأن الذات الواعية هي التي تدرك وجودها وتميزها عن الآخرين، من حيث هي ذات شاعرةبوحدتها واستمرارها عبر الزمان، أو ما يعرف في المصطلح الفلسفي -بالأنا-، أماالوعي كما يبتدئ في الفكر الجواني فإنه يتجه نحو ما هو روحاني، ومن هذا المنطلق فإن الوعي الذي قصده "عثمان أمين" هو وعي كشفي وهو الوعي الميتافيزيقي أو الروحي الذي يعبر عن فعالية الدين أو الأخلاق أو العقل...إن "عثمان أمين" نظر للوعي نظرة إنسانية، بل اعتبر الوعي الإنساني أولى من الوعي القومي.

استقى "عثمان أمين" فلسفته من مشارب دينية والفلسفة المثالية الكانطية والعقلية الديكارتية وذلك لقرينة التقارب بينهما في السعي إلى

الإصلاح الذاتي والموضوعي، الروحي والمادي، النظري والتطبيقي حيث يتوقف إصلاح الثاني على مدى وعي وإيمان الأول واستقامته نحو العدل والخير الأسمى فالعبرة عند "عثمان أمين" من الفلسفة الجوانية لا تتوقف عند تقليد المظهر بل تتجاوزه إلى طهارة الباطن وتثقيفه أي تعديله لقوله تعالى: «قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى واللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ» (قرآن كريم، سورة البقرة، الآية: 263)، فهي تنبذ التظاهر في السلوك وتصدق النوايا والمقاصد.

كل المزايا الأنفة للذكر تجعل الجوانية فلسفة ذات طابع ديني صوفي مهذب أو سليم إن صح التعبير يقول "عثمان أمين" مقررا البعد الديني لفلسفته: «إذا كان ما ترمي إليه الجوانية في النهاية هو التأكيد على أن الدين هو البعد الجواني للإنسان، فإن الدين قد تم تفسيره على نحو مثالي وذلك لأن المثالية دعامة كل ثورة واعية» (أمين عثمان، 1963: 363)، ويتم ذلك وفق جملة قواعد تتجسد في مسلمات آمن بها "عثمان أمين" ودافع عليها من أجل الارتقاء بالوجود الإنساني.

من أهم المسلمات التي تتبناها الجوانية: "كرامة الإنسان، الحرية والشعور بالمسؤولية، السعي محك الأخلاق -التحقيق والمجاهدة- حسن النية واستقامة الضمير"(أمين عثمان، 1963: 199).

هذه المسلمات تجسدها عدة صور تعكس مظاهر الفلسفة الجوانية وهي: {أخلاق الفروسية، بمعنى الشجاعة والبطولة،الضمير أو رصيد النفس؛ فهو دليل الماهية الإنسانية،التزام الحد الأوسط؛ أي الاعتدال لا ضرر ولا ضرار، بصر العين وبصر القلب؛ فهي تقدم استدلال الحدس الباطني عن نقص الحواس في المعرفة والحقيقة والوعي المستنير}(أمين عثمان، 1963: 22) فالكثيرون يصفون "عثمان أمين"بالتنويري كونه أحدث تغييرا على مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي العربي ببعث قيم الأخلاق الشمولية.

تعكس الجوانية فلسفة شخصية تمتاز بالديمومة والاستمرار والتغير والكيف وتدرك من خلال عملية الاستبطان وهذا ما تكلم عنه "برغسون" (Bergson) في فلسفته الحدسية لباطن الإنسان وشعوره الداخلي بعيدا عن أي تشخيص مادي ووضعي ممارس فيها.

يشكل العقل مبدأ وركيزة وخاصية جوهرية في الفلسفة الجوانية التي تؤكد أن: «الوعي لا يكون وعيا حقيقيا إلا إذا كانت له طبيعة ميتافيزيقية وإذا كانت الجوانية في صميمها رؤية ميتافيزيقية فمن البديهي أن تختلف كل الاختلاف عن الرؤية الفيزيولوجية (أمين عثمان، 1963: 29)؛ ما يفهم أن الجوانية فلسفة متعالية عن العالم الحسي الذي يتصف بالتغير المستمر والزيف كما يصفه العقلانيون وفي مقدمتهم "ديكارت" الذي وصف الحواس بالمكر والزيف.

إن ربط الجوانية في أهدافها بالبعد الاكسيمولوجي للفلسفة دليل واضح على أنها فلسفة تمتد إلى العمق لا المظهر وتقدم الثابت المطلق على المتغير النسبي، ترصد السلوك العام للحياة وتحفر في الممارسة الذاتية فهي: «فلسفة تحاول رؤية الأشخاص والأشياء رؤية روحية بمعنى أن تنظر إلى (المخبر) ولا تقف عند (المظهر) وأن تلتمس الباطن دون أن تقنع بالظاهر وأن تبحث عن الداخل بعد ملاحظة الخارج»(أمين عثمان 1963: 265).

المتمعن يدرك أنه لا مناص أن الجوانية فلسفة تأخذ على عاتقها تنمية القيم الروحية في الإنسان كذات مفردة وجماعية لتثبيت أواصر الأصالة والعمل المتخلق للمحافظة على المرجعيات الأخلاقية وناموسها الضمير المنتصر للقيمة العليا أو الفضائل السامية.

في هذا السياق نلمس تجليات الأثر الكانطي في الرؤية الجوانية "لعثمان أمين" من خلال البعد الترنسندنتالي المثالي؛ أي المتعالي ، لقد عبر الحضور الكانطي في الفلسفة العربية المعاصرة عن قوته النقدية ومدى حاجة عوالمنا الفكرية لممارسة التفلسف الناقد المنتج لا السلبي السالب لمعاني الذات المبدعة والمتجددة وهذا ترجمه لنا "عثمان أمين" في تقديم الماهية على العرض بالقول: «طريق المثالية الجوانية هي تقديم الذات على الموضوع والفكر على الوجود والإنسان على الأشياء والرؤية على المعاينة والتمييز بين الداخل والخارج وبين الكيف والكم وبين بصر العقل وبصر العين» (أمين عثمان، 1963: 344).

ثالثا:المنهج الجواني وغاياته عند"عثمان أمين:

يقول "عثمان أمين" فإن: «منهج مثاليتنا الجوانية في استنادها إلى الوعي الإنساني، ودعوتها الفكر إلى الالتفات إلى ذاته وفي توجيه النظر الفلسفي إلى الاحتفال بالمعنى والمثال والفكرة والقيمة، منهج لا يزال كبير الأهمية لفهم العالم وفهم الإنسان»(أمين عثمان، 1967: 9)، تراعي الجوانية في منهجها المثالي المتعالي أو ما يعرف بـ (بالحدس الكشفي) التفسير الباطني للموضوعات؛ فهي لا تقف عند حدود الوصف بل يتعداه إلى محاولة تشخيص العلل ورسم منافذ الخروج من الأزمات سواء خصت الإنسان في ذاته أو لذاته للوصول إلى ماهية الأشياء الحقيقية، فهو يرى أن المثالية الحديثة قد خطت بالفكر نحو مستقبل آمن لأنها ملازمة للفكر ففي كتابه (رواد المثالية) يقول: «وإننا لنجد المثالية الحديثة أنها تتطلب الوحدة بالفكر والتفسير بالفكر -وهما عندنا أمران ملازمان لكل قصد فلسفي سليم وقد صدق ديكارت وباركلي وكانط وظل المتعجلون والسطحيون، ما من شيء يستطيع الإنسان أن يدركه بدون الفكر وما من صورة يستطيع أن يتبناها خارج الذهن، ولكن هذا لا يعني أن المثل الأعلى الذي تنشده العلوم الحديثة المعقولية- يكفي في تعريف الفكر فإن الفكر الذي يستكفي بذاته هو علم الله سبحانه» (أمين عثمان، 1967: 11).

أما النظر الميتافيزيقي فيبتغي: «رؤية الأشياء رؤية روحية فريدة...إذ تكتسب جوانية هي جوهرها وماهيتها ولبابها، والحق أن صميم النظر الميتافيزيقي بل النظر الفلسفي بأسره، لا بدّ أن يكون مجاوزة لـ المظاهر والمرئيات والعوارض، وارتفاعا إلى الماهيات والمكنونات والدخائل....فالتفلسف على جميع أنحائه ملازم للوعي لا ينفك عنه والوعي هنا شامل للحدس الذي لا يتنافى مع العقل»(أمين عثمان، 1967: 11)، أي التوافق والترافق بين الاستدلال والشعور بمعزل عن معطيات الواقع الفيزيقي.

القارئ الفاحص لأفكار "عثمان أمين" يستشف أن هذا المفكر لعب دور القاضي ومحامي الدفاع لقضية اسمها الأخلاق المسؤول فيها الباطن أو الوعي الإنساني الذي من شأنه إدراك ما يجب أن يكون في صورة كشفية وحدسية تعبر عن تجربة داخلية هي ماهية الأنا وحقيقة الفعل المطلوب لوحدة إنسانية واعية ومتعالية قوامها الدين فهو

عمل على الوصول إلى حقيقة تتجاوز الواقع إلى علوية صوفية، لأن الجواني لا يمتلك الحقيقة بل يسعى لتحصيلها وأي ادعاء في ذلك يفقد الحقيقة مشروعيتها فهي ذات طبيعة مطلقة وليست جزئية.

كما حرصت الجوانية على تفعيل عمل الباطن الإنساني ومختلف قدراته على خصوبة الفهم وحرية التأويل من أجل تحديد جوهر الجوانية الروحي من عمق الوجود الحقيقي فهي تحمل صفاتها الأساسية في ذاتهامما يجعلها أكثر مصداقية وفاعلية مستمرة خلاف المعطيات البرانية أو الخارجية التي تختزل قيم الروح والباطن المكنون إلى وقائع جامدة تقبع في شكوك الحواس وأخطائها وهنا تظهر نزعة عثمان أمين العقلية في تقويضه لعمل الحواس ووثوقه في عمل الحدس والاستدلال وهذا دليل على الحضور الديكارتي في طرحه الجواني فهو يؤكد بأن: «الفلسفة الديكارتية قد سلكت مسلكا فريدا في التاريخ الفلسفي، سار الفيلسوف من النفس إلى الله مباشرة وبغير واسطة»(أمين عثمان، 1969: 23)، ومفاد هذا أن "ديكارت" كانت جوانيته روحية حدسية عرف من خلالها حسب "عثمان أمين" أن: «جوهر النفس هو الفكر وأن جوهر الله هو الكمال وأن جوهر الجسم هو الامتداد» (أمين عثمان، 1967، ص367)حاول "عثمان أمين" تقديم محاولة أصيلة في الفلسفة تمتاز بالتنوع بين التوجيه والدعوة إلى القيم فالحياة عنده هي عصمة النفس من الرذائل وقيادتها نحو رسالتها التي وجدت لأجلها بالفطرة وهي الخير الأسمى، وهذا ما تعبر عنه جوانية "ديكارت" أيضا التي تؤمن بالنور الفطري وتدافع عنه: «النور الفطري المعبر عن بداهة العقل» (أمين عثمان، 1967: 367).

أصبح من الجلي أن "عثمان أمين" قدم محاولة جادة تعنى بالنزعة الروحية الباطنية الشعورية الحدسية والعقلية لاستقامة النفس وتهذيبها وصلاحها، وهذا يتوقف على حكم النية أو القصد من الفعل، ذلك أن جوانية "عثمان أمين" تحمل في طياتها تقويضا للفلسفات المادية والعلمانية التي فصلت الإنسان عن كله الأخلاقي، فالحياة الجوانية هي التي تكسب الواقع معناه الحقيقي الأنطولوجي

والابستيمولوجي والاكسيمولوجي وكلها مباحث من الفلسفة العامة للوجود بشقيه العلوي والسفلي.

ما يحصد من مشروع "عثمان أمين' 'أن الجوانية منهج متفلسف في روح الدين التي تأصل إلى أخلاق إنسانية شاملة وذلك بالعودة إلى التفحص والتأويل والاجتهاد في النص أو الوحي قرآنا وسنة، فالمرجعية الدينية الإسلامية أيقونة كاملة من القيم الكونية، لذلك تأسست جوانية "عثمان أمين "على جملة أهداف تترجم آنيتها نرصد منها الآتي:{تجاوز المظهر إلى المخبر لتزكية الوعي الإنساني بالآنية الذاتية،استثمار قوة الروح في العمل الصالح لتحقيق الأفضل الإنساني،تحقيق الإنسان المثالي روحيا وقيميا،الدعوة إلى العمل البناء المتأسس على الوعي، من أجل تكريس الحرية الإنسانية، الارتكاز على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. }(أمين عثمان، 1967: 349).

رابعا : موقع''عثمان أمين''الفلسفي في الإبداع الجواني وقيمه الإنسانية:

لقد استطاع "عثمان أمين" أمنخة وتكييف المبادئ الكانطية في الأخلاق والديكارتية في المعرفة على واقعنا العربي حيث أضاف عليها خصوصية الدين الإسلامي لمنحها عمرا أبديا بقيمه الروحية، فالجوانية أعادت صياغة فلسفة "كانط" المسيحية إلى جوارها الطبيعي الصوفي الإسلامي وهذا كشف وليس إبداعا، لأن الكشف هو إعادة صياغة لما سبق رغم أنه يحمل أفكارا جديدة في حين الإبداع فيأتي بجديد لا يقابله شيء في الواقع فنحن نقول مثلا: السيارة كشف لا إبداع لأنه إعادة صياغة عناصر طبيعية؛ فالسيارة موجودة في الطبيعة، عناصرها من حديد وبلاستيك و...موجودة في الطبيعة، فالمكتشف هو إعادة صياغتها وإنتاجها مجددا، لكن جديد من قديم (من الطبيعة إلى الطبيعة) يقول "جورج طرابيشي" في سياق الإبداع الفلسفي العربي عامة: «لا وجود لفلسفة عربية حديثة أو معاصرة وإن وجدت فلسفة فهي فلسفة مترجمة أو فلسفة مولدة من الترجمة»(طرابيشي جورج، 2006: 60)، ناهيك على المتمعن في الفلسفة الجوانية يجد نفسه تلقائيا معالم خيال البرغسوني والكانطي والديكارتي

في غطاء ديني له خصوصيته بعيدا عن أي إبداع فلسفي أو ابستيمولوجي لأن: «الفلسفة العربية تتعامل مع معطيات تراثية، الوافد أو الموروث»(عبد اللطيف كمال، 2008: 157)، وهذا ما يبرر نكوصها الزمني والوظيفي لعوائق إيديولوجية وأخرى موضوعية كغياب الحراك المتفلسف في قضايا الواقع والركض وراء العقل المستهلك لا المنتج.

خاتمة:

مما سبق تحليله نجزم بالحكم أن "عثمان أمين" حاول أن يبدع فلسفيا لكنه انتهى قارئا لغيره دون سحق مجهوده في كشف ما لم يكشف في السياق العربي المتداول كفكرة الجوانية التي قال فيها ما يلي: «ومنذ البداية أرى لزاما أن أنبه إلى أن هذا الكتاب الصغير لم يكتب إلا للقراء الجوانيين حقا، ومعنى هذا أن القارئ الذي يقف عند حرفية الألفاظ وظاهر العبارات، دون أن يحاول أن ينفذ إلى فهم ما بين السطور ليستطيع أن يصاحبني في هذه الرحلة الفلسفية الطويلة...ويتطلب ذلك الانتباه الذهن" الذي جعله ديكارت شرطا لتنظيم الأفكار، ولقيادة العقل الباحث عن الحقيقة أو ذلك الوعي الترنسندنتالي الذي رآه كانط «مصاحبا لجميع عمليات التفكير» (أمين عثمان، 1967: 22) يبدو أن "عثمان أمين" انتهى مركبا من روح الدين الإسلاميوالمثالية المتعالية الكانطية وبداهة العقل الديكارتي.

المراجع:

-القرآن الكريم

***الكتب**

1- العراقي عاطف، (1998)، **العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر قضايا ومذاهب وشخصيات**، د. ط، القاهرة ، دار قباء للنشر والتوزيع.

2-أمين عثمان، (1963)، **الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة**، د. ط، القاهرة،دن.

3-أمين عثمان1967)، **رواد المثالية في الفلسفة الغربية**، دط، القاهرة ، دار المعارف.

4-أمين عثمان ،(1969)، **ديكارت**، د. ط، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة.

5- غلاب محمد،(دس)، **الأخلاق النظرية**، د. ط،مصر ، الهيئة الأهلية، المطبعة الأهلية الحديثة.

6-طرابيشي جورج، (2006)، **هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية**، ج1، ط1،بيروت ، رابطة العقلانيين العرب دار الساقي.
7 -طلبة إبراهيم ، (دس)، **الجوانية عند عثمان أمين أصولها وخصائصها**، د. ط، مصر،دار الحضارة والثقافة للنشر والتوزيع.
8- وهبة مراد،، (1994)، **مدخل إلى التنوير**، ط1، مصر ،دار العالم الثالث،.
9- زيادة معين، (1988)، **الموسوعة الفلسفية العربية**، م3، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي.

***الرسائل:**

1- تواتي المكي، (1997/1996)، (**الرؤية الفلسفية عند عثمان أمين**)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص فلسفة، معهد العلوم الاجتماعية قسنطينة، الجزائر.

للإحالة على هذا المقال:

- برتيمة وفاء، (2022)، « **الجوانية من سؤال التقليد إلى محاولة الإبداع "عثمان أمين" أنموذجا (دراسة تحليلية نقدية)**». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 419- 433.